بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أعزَّ العرب فأنزل كتابه بلغتهم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، والصلاة والسلام علىٰ من تدفَّق لسانُه بسحر البيان محمد ابن عبد الله ﷺ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فمن أهم المصطلحات التي ظهرت في المُصَنَّفات العربية -قديمًا وحديثًا- مصطلح (التعريب)، حيث ارتدت العربية من خلاله ثوب الإجادة والتمكين، وأثبتت لجميع لغات العالم أنها قادرة علىٰ استيعاب لغات وحضارات الآخرين، وتفاعلها معهم دون أن يؤثر ذلك علىٰ بنيتها الأساسية، أو يضعها في مصافّ اللغات التي ترضىٰ بلغتها بديلاً، وكيف لا وهي لغة الكتاب المبين الذي جعله الله نورًا وهدىٰ ورحمة للعالمين؟!.

وقد كان للتجارة والغزو والوفادة منذ القديم وقبل نزول القرآن الكريم أثر كبير في تفاعل العربية مع اللغات الفارسية واليونانية والسريانية والرومانية والحبشية والعبرانية والهندية وغيرها من اللغات الأخرىٰ، وخاصة اللغة الفارسية التي كانت من أكثر اللغات تأثُّرًا بالعربية وتأثيرًا فيها، فتأثَّرت تلك اللغات بالعربية كما أثَّرت فيها، وبدا لمعظم لغات العالم أن هذا عنوان لجميع الأمم والحضارات التي تريد أن تُسَطِّر لنفسها تاريخًا ترمز من خلاله إلىٰ قدرتها ومرونتها علىٰ الإعارة والاستعارة ما دام الأمر في حدود القوالب والضوابط المتعارف عليها في تلك اللغات.

«إن صدر اللغة يجب أن يكون فسيحًا يتسع لحركة الحياة، وتجدد الثقافات، ومتحدثات الحضارة، ومصطلحات العلوم والفنون، وإلا كانت اللغة ميتة لا تقوىٰ علىٰ مسايرة الزمن، ولا تنهض علىٰ مجاراة نهر الحياة المتدفق، واستحالت جثَّة

محنَّطة في متحف للآثار القديمة تضعف علىٰ النزول في سوق التداول والتعامل البشري»[1].

فليس التعريب إذًا من باب العجز أو النقص، وليست العربية في حاجة إلىٰ من يقوي عضدها ويرسي دعائمها فتستعين بغيرها لسدِّ نقص فيها، أو معالجة مشكلاتها، بل علىٰ العكس فثروتها اللغوية دليل واضح علىٰ أنها في مقدمة اللغات إن لم تكن إمامها.

وقديمًا لم يجد العربي الفصيح في العصر الجاهلي مناصًا ولا حرجًا من استخدام بعض ألفاظ اللغات الأخرىٰ والتفاعل والتعايش معها، وكذلك بعد أن أصبح الكيان البشري كتلة واحدة بمجيء الإسلام.

فأصبح التعريب من إحدىٰ عوامل نمو اللغة العربية وزيادة ثروتها، وطريقة من طرق حيويتها، وليس في ذلك ما يعيبها أو يخرجها عن دائرة استقلالها كلغة لها كيانها المستقل، وحضارتها البارزة بين جميع اللغات والحضارات.

ومعظم لغات العالم علىٰ هذا الحال، فلم تكن العربية نادَّة أو شاذَّة بينها «فإن الدراسات اللغوية تبيِّن أن أكثر من نصف ألفاظ اللغة الإنجليزية ليست إنجليزية الأصل، وإن أقل من نصف كلمات اللغة الفرنسية من أصل لاتيني والباقي من أصول يونانية وألمانية وإنجليزية وإيطالية وإسبانية وبرتغالية وعربية وهنغارية وعبرية وسلافية وتركية، ومن لغات إفريقيا، ومن اللغات الأسيوية، ومن اللغات الأمريكية الهندية»[2].

هذا، وإن ظهرت الألفاظ المُعَرَّبة في كتب اللغة بصورة واضحة فهذا أمر مألوف؛ لأنها مفردة من مفرداتها، أمَّا أن يخرج كتاب في القرن السابع الهجري

(1) فصيح ثعلب. تحقيق د. عاطف مدكور ص134 - دار المعارف - القاهرة 1983م.

(2) اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث. د. عبد الكريم خليفة ص225 - دار الفرقان - عمان - الطبعة الرابعة 1412هـ-1992م.

يعالج هذه الألفاظ ضمن مادته اللغوية تحت عنوان (تحرير ألفاظ التنبيه أو لغة الفقه) للإمام النووي، والذي يأتي شرحًا لـ (كتاب التنبيه في الفقه الشافعي) للإمام أبي إسحاق الشيرازي فهذا فريد في بابه، عزيز في مادته، حَرِيٌّ أن توجه العقول إلىٰ تدبُّره، والأقلام إلىٰ دراسته.

ومن هنا عكفت علىٰ قراءة هذه الألفاظ المُعَرَّبة وما تحمله من دلالات وقبول ورفض، وتعايشت معها حتىٰ اكتملت ملامحها في ذهني فأصبحت صورة مثالية للتحليل والدراسة.

هذا، وقد استخدم المُصَنِّف في عرض هذه المادة التي نَصَّ عليها بأنها من المُعَّربات ثلاث طرق، فهو إمَّا أن يعرض لمُعَرَّبات مجهولة، أو مُعَرَّبات منسوبة إلىٰ الفارسية، أو ثالثة بين خلاف في عربيتها وتعريبها دون ترجيح بينهما.

وطبقًا لهذا المنهج التطبيقي ومقدمته النظرية تَمَّ تصنيف هذا البحث إلىٰ تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

فالتمهيد عن المُصَنِّف والمُصنَّف، وتأتي المباحث الأربعة علىٰ النحو التالي:

المبحث الأول: وقفة مع التعريب.

المبحث الثاني: المُعَرَّبات المجهولة.

المبحث الثالث: المُعَرَّبات المنسوبة إلىٰ الفارسية.

المبحث الرابع: بين العربية والتعريب.

وفي خاتمة البحث تتويج لأهم وأبرز النتائج.

وتأتي طريقة العرض في هذا البحث من خلال إيراد اللفظ المُعَرَّب أوَّلاً، ثم نَصِّ المُصَنِّف ثانيًا، مع ذكر رقم صفحة المُصَنَّف وبابه الفقهي، ثم التحليل ثالثًا، مع الاعتماد علىٰ الترتيب الألفبائي المعروف لهذه الألفاظ، ومراعاة الترتيب الداخلي لها، دون اعتماد علىٰ جذرها اللغوي لكونه محلّ خلاف في كثير من هذه الألفاظ التي تصرفوا فيها بين علماء اللغة، في حين أن بعضًا منها ليس له جذر

لغوي، فآثرت إيراد هذه الألفاظ بصورتها التي عليها اعتمادًا علىٰ أولىٰ حروفها دون اعتبار لأل التعريفية.

وقد حاولت قدر جهدي مناقشة هذه الألفاظ المُعَرَّبة عند الإمام النووي وبيان دلالتها من خلال عرضها علىٰ بعض كتب المُعَرَّبات -قديمًا وحديثًا- ، ثم علىٰ كتب اللغة عامة، ثم ترجيح ما أراه أقرب للصواب من وجهة نظري، سواء أكان في ذلك موافقة للمُصَنِّف أم مخالفة له، مع نسبة المُعَرَّبات المجهولة وبيان أصلها بعد أن أهمل المُصَنِّف هذا الأمر تمامًا اللهم إلا في لفظتي (الشاهين)، و (المنجنيق)، ثم مناقشة المنسوبات إلىٰ الفارسية.

وبعد، فهذه محاولة من الإمام النووي لصبغ المُصَنَّفات الفقهية بصبغة لغوية، ومحاولة مني لمعالجة الألفاظ المُعَرَّبة في مُصَنَّفه في ضوء الدراسات الحديثة، حتىٰ يلتقي الفكر اللغوي قديمًا و حديثًا -تحت عنوان: «المُعَرَّب في تحرير ألفاظ التنبيه للإمام النووي . . دراسة تحليلية».

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: من الآية 9].

المُصَنِّف والمُصَنَّف

المُصَنِّف

ربما يحيا الإنسان مائة عام وكأنَّما دخل من باب وخرج من آخر دون أن يشعر به التاريخ، وربما لا يتجاوز الخمسين من عمره فتخلِّده الصفحات كما يُخَلَّد الرُّوَّاد في كل زمان ومكان.

والإمام النووي -رحمه الله تعالىٰ- من هؤلاء الذين لم يُعَمِّروا كثيرًا، فلم يتجاوز عمره خمسة وأربعين عامًا، ومع ذلك فقد عكفت الأقلام علىٰ الكتابة عنه وتحبير أوراقهم بالثناء عليه.

وقد سجَّلت كتب التراجم في نسبه أنه: يحيىٰ بن شرف بن مُرِّي بن حسن ابن حسين بن حزام بن محمد بن جمعة الحزامي الحوراني الدمشقي النووي الشافعي الإمام العلاَّمة محيي الدين أبو زكريا شيخ الإسلام، الفقيه المحدث الحافظ اللغوي.

ولد هذا الإمام الجليل في نوا من قرىٰ حوران بسورية، وإليها نسبه بينها وبين دمشق مسافة يومين، وذلك في العشر الأول من المحرم، وقيل في العشر الأوسط منها سنة إحدىٰ وثلاثين وستمائة من الهجرة النبوية (631هـ)، وقرأ القرآن الكريم بها فكانت هذه هي البداية في رحلة طلب العلم.

ولكن ظهرت الانطلاقة الحقيقية لهذا الإمام برحيله إلىٰ دمشق سنة تسع وأربعين وستمائة، وعمره ثمان عشرة سنة، حيث أقام بها زمنًا طويلاً، ونُسِب إليها؛ لأنه أقام بها نحوًا من ثمان وعشرين سنة.

تخرج بالمدرسة الرواحية بدمشق وانكب علىٰ العلوم الدينية، ولما مات أبو شامة في سنة 665هـ وهو صاحب «الروضتين في أخبار الدولتين» دُعِي النووي لرئاسة المدرسية الأشرفية وهي مدرسة للحديث.

وأما عن علمه وورعه وزهده كمثال يحتذي به، ودرب يقتفي أثره، ومدرسة لا يَدْرس ولا يُخَرَّج منها إلا النجباء في شتىٰ فنون المعرفة فحدِّث ولا حرج، حيث كان النووي أستاذ المتأخرين، وحجة الله علىٰ اللاحقين، والداعي إلىٰ سبيل السالفين. فكان -رحمه الله تعالىٰ- سيِّدًا وحصورًا وليْثًا علىٰ النفس، هصورًا وزاهدًا، لم يبال بخراب الدنيا إذا صيَّر دينه ربعًا معمورًا له الزهد والقناعة، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة والمصابرة علىٰ أنواع الخير، لا يصرف ساعة في غير طاعة، هذا مع التفنن في أصناف العلم فقهًا ومتون أحاديث وأسماء رجال ولغة وتصوفًا وغير ذلك.

وقد ذكر أبوه أن الشيخ كان نائمًا إلىٰ جنبه وقد بلغ من العمر سبع سنين ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فانتبه نحو نصف الليل وقال: يا أبت ما هذا الضوء الذي ملأ الدار فاستيقظ الأهل جميعًا قال: فلم نر كلنا شيئًا. قال والده، فعرفت أنها ليلة القدر.

ذكر الذهبي أنه لزم الاشتغال بالعلم نحو عشرين سنة حتىٰ فاق الأقران، وتقدَّم علىٰ جميع الطلبة، وحاز قصب السبق في العلم والعمل، ثم أخذ في التصنيف في حدود سنة (660هـ) إلىٰ أن مات.

وللنووي صولات وجولات في شتىٰ فنون المعرفة وتنقل بين ربوعها، كأنَّه خبير بكل فن، متصدِّر لكل علم، وحُقَّ له ذلك لأنَّه قد تتلمذ في كل علم نبغ فيه علىٰ أيدي كبار علمائه وعارفيه.

وقد ظهرت له كثير من المُصَنَّفات في مجال الفقه والحديث وأحوال الرِّجال والمواعظ والتصوف والآداب وغير ذلك.

فمن مُصَنَّفاته في مجال الفقه «روضة الطالبين» وهي اختصار لـ «فتح العزيز» للرافعي، و«المنهاج» وهو اختصار لكتاب المحرر للرافعي، و «تصحيح التنبيه في بيان الراجح من المسائل المختلف فيها في المذهب من خلال التنبيه للشيرازي».

ومن شيوخه في هذا المجال أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي، وأبو أحمد عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن إبراهيم بن موسىٰ المقدسي، وأبو جعفر عمر بن أسعد بن أبي طالب الرَّبَعي الإربلي.

ومن مُصَنَّفاته في مجال الحديث: «رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين» و «الأذكار» و «الأربعين النووية» و «شرح صحيح مسلم».

ومن شيوخه في هذا المجال: إبراهيم بن عيسىٰ المرادي الأندلسي الشافعي، و أبو البقاء خالد بن يوسف بن سعد النابلسي، والضياء بن تمام الحنفي.

ومن مُصَنَّفاته في أحوال الرجال: «تهذيب الأسماء واللغات»، و «طبقات الفقهاء»، و«مناقب الشافعي»، و «مختصر أسد الغابة».

ومن مُصَنَّفاته في المواعظ والتصوف والآداب: «التبيان في آداب حملة القرآن»، و «تحفة طلاب الفضائل»، و «مختصر آداب الاستسقاء»، و «آداب المفتي والمستفتي» و «بستان العارفين» في الزهد والتصوف.

إضافة إلىٰ مجال التوحيد من خلال رسالة المقاصد، وعلم التجويد من خلال الوقف والابتداء. وختامًا كتاب «تحرير ألفاظ التنبيه» في مجال اللغة.

ومن شيوخه في مجال اللغة والنحو والتصريف: أحمد بن سالم المصري النحوي اللغوي، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك، والفخر المالكي.

وأخيرًا أُسدل السِّتار علىٰ حياة هذا العالم الجليل بعد أن ملأ الدنيا علمًا وحكمة وزهدًا، وذلك في ليلة الرابع عشر أو الرابع والعشرين من شهر رجب -ليلة الأربعاء- من سنة ست وسبعين وستمائة بنوىٰ، وله خمس وأربعون سنة ونصف. رحمه الله تعالىٰ وأسكنه فسيح جناته جزاء ما قَدَّم للبشرية من علم ينتفع به إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها[1].

(1) ينظر ترجمته بالتفصيل في: طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي. تحقيق د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو 8/ 395 - هجر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية 1413هـ، =

المُصَنَّف

ظهر كتاب (التنبيه في الفقه الشافعي) سنة أربعمائة واثنتين وخمسين من الهجرة النبوية علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام في أوائل رمضان لشيخ الإسلام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي الشيرازي الشافعي الملقب جمال الدين[1]، فكان فاتحة خير علىٰ المهتمين بمسائل الفقه الشافعي، فذاع صيته في الآفاق حتىٰ غدا من أبرز المصادر الفقهية في هذا الجانب، فدارت حوله الشروح والمختصرات إلىٰ أن ظهر الإمام النووي علىٰ الساحة العلمية فأفرد له شرحين، الأول يهتم بمعالجة المسائل الفقهية في شتىٰ أبواب الفقه تحت عنوان «تصحيح التنبيه»، والثاني يعالج ألفاظه في كتاب «تحرير ألفاظ التنبيه أولفة الفقه».

«وأرجح الظن أن الإمام النووي أولُ من فتح هذا الباب من اللغة، قبل الفيومي صاحب المصباح بنحو مائة سنة، وكان أول كتاب له في لغة الفقه كتاب «تهذيب الأسماء

= والسلوك لمعرفة دول الملوك. عبد القادر العبيدي المقريزي. تحقيق. محمد عبد القادر عطا 2/ 111 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولىٰ 1418هـ، 1997م، والأعلام. خير الدين الزركلي 8/ 149 – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة السابعة 1986م، ومعجم المؤلِّفين. عمر رضا كحالة 13/ 202 – مكتبة المثنىٰ – دار إحياء الكتب العربية، واكتفاء القنوع بما هو مطبوع. تأليف. أدورد فنديك 1/ 381 – دار صادر – بيروت 1986م.

(1) ولد سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة، فهو إمام الشافعية، وتوفي ببغداد في ليلة الحادي والعشرين من جمادي الآخرة سنة ست وسبعين وأربعمائة.
ينظر ترجمته بالتفصيل في: سير أعلام النبلاء للذهبي. تحقيق. شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي 18/ 452 – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة التاسعة 1413هـ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي. تحقيق. عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط 3/ 349 – دار ابن كثير – دمشق – الطبعة الأولىٰ 1406هـ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان. تحقيق د. إحسان عباس 1/ 39 – دار الثقافة – لبنان، والوافي بالوفيات للصفدي. تحقيق. أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفىٰ 6/ 62 – دار إحياء التراث – بيروت – 1420هـ–2000م، وطبقات الشافعية الكبرىٰ 3/ 88: 111، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي الأتابكي 5/ 117 – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر، ومعجم المؤلفين 1/ 68.

واللغات»، ثم صَنَّف هذا الكتاب علىٰ التنبيه قبل وفاته بنحو أربع سنوات»[1].

والهدف من تحرير التحرير كما ذكر مُصَنِّفه هو «جمع مختصر أذكر فيه إن شاء الله تعالىٰ جميع ما يتعلق بألفاظ التنبيه، فأبيِّن فيه إن شاء الله اللغات العربية والمُعَرَّبة، والألفاظ المُوَلَّدة، والمقصورة والممدودة، وما يجوزان فيه، والمذكَّر والمؤنث، وما يجوزان فيه، والمجموع والمفرد، والمشتق، وعدد لغات اللفظة، وأسماء المسمَّىٰ الواحد المترادفة، وتصريف الكلمة، وبيان الألفاظ المشتركة ومعانيها، والفروق بينها ...»[2]. إضافة إلىٰ جملة من المسائل اللغوية والفقهية.

وقد وضع المُصَنِّف هذا المُصّنَّف في سبعة عشر بابًا وكتابًا علىٰ حسب نهج وطريقة الأبواب المعروفة في كتب الفقه بدءًا بالطهارة وانتهاءً بكتاب الشهادات[3].

وأمَّا عن مصادره فقد استعان النووي في إيراد مادته اللغوية وخاصة الألفاظ المُعَّربة بعدة مُصَنَّفات، تأتي في مقدمتها (المُعَرَّب من الكلام الأعجمي علىٰ حروف المعجم) للجواليقي باعتباره أولىٰ المُصَنَّفات المتخصصة في هذا الجانب فقط، ثم (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، و (جمهرة اللغة) لابن دريد، و (تهذيب اللغة) للأزهري، و (المحكم) لابن سيده باعتبارها أمهات كتب اللغة التي ظهرت فيها الألفاظ المُعَرَّبة بصورة جلية وغير ذلك.

والمُصَنِّف تارة يعتمد علىٰ ذكر المُصَنَّف، وتارة علىٰ ذكر صاحبه، وثالثة لا يذكر هذا ولا ذاك مع اعتماده على تلك المصنفات.

وليس للمُصَنِّف منهج واضح في تحديد دلالة هذه الألفاظ، فنادرًا ما يعرض لها دون استشهاد وكذلك تعريبها، مع اهتمامه بذكر اللغات في هذه الألفاظ خاصة من ناحية الإبدال بين حركاتها، مع تقديم الأفصح فيها من وجهة نظره.

---

(1) تحرير ألفاظ التنبيه أولفة الفقه للنووي. حقَّقه. عبد الغني الدّقر – مقدمة المحقق ص6 – دار القلم – دمشق – الطبعة الأولىٰ 1408هـ–1988م.

(2) السابق ص28، 29.

(3) ينظر: السابق ص374.